كتاب الشّاء للأصمعي وتراث الشّاء في العربية

The Book of Sheep by Al-Asma'i and the Heritage of Sheep in Arabic

عطالله بوخيرة*
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية –وحدة ورقلة –الجزائر
attallahbokh@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/22 تاريخ القبول: 2024/04/22

الملخص

يحاول هذا البحث أن يعرض لكتاب الشّاء للأصمعي الذي يعدّ أحد الرسائل اللغوية التي ألفت في القرن الرابع هجري، والتي هي بمثابة اللبنة الأولى للتأليف المعجمي، محاولا توضيح أهم موضوعاته، والألفاظ التي حوتها تلك الموضوعات، وإبراز أهم الخصائص التي تميز بها، والقيمة العلمية التي تضمنها، وكيفية تنظيم أبوابه، والتعريج على تراث الشّاء في العربية وأهم من ألف في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: **الشّاء؛ الأصمعي ؛ المعجم ؛ اللغة العربية ؛ الرسائل اللغوية؛**

Abstract

This research attempts to present the book of Al-Sha' by Al-Asma'i, which is considered one of the linguistic treatises that were written in the fourth century AH, and which serves as the first building block for lexicographical composition, trying to clarify its most important topics, the words contained in those topics, and highlighting the most important characteristics that distinguish it, and the scientific value it contains. , and how to organize its chapters, and a review of the heritage of the will in Arabic and more important than a thousand on this topic

Keywords: sheep ; Al-Asmai; Arabic language ; language messages ; Lexicon ;

* المؤلف المرسل: **عطالله بوخيرة**، الإيميل: **attallahbokh@mail.com**

مقدمة:

إنّ تأليف الرسائل اللغوية من أجلّ الأعمال اللغوية في التراث العربي، وقد جمعت بين طياتها المفردات ومعانيها، بالإضافة إلى علوم مختلفة كعلم الأصوات والصرف والنحو والبلاغة، بالإضافة لعلوم القرآن المختلفة كالفقه، والتجويد والقراءات القرآنية، وحتى علوم غير لغوية كالجغرافيا والفلك والطب والنبات وغيرها. لقد كانت الرسائل اللغوية الإفرادية صورة فريدة في جمع المفردات المرتبطة باللغة، الإنسان، الحيوان، الحياة، والكون عامة، ولقد كان للإنسان والحيوان حظ كبير من الاهتمام بالدراسة وعرض أجناسه وأسمائه وصفاته وأعضائه وأصواته ولباسه، وكل ما يتعلق بهما من قبل اللغويين، فألّف في خلق الإنسان خاصة، وفي الخيل والإبل نظرا لعلاقتهما الوطيدة بالإنسان العربي سلماً وحرباً، وقد تنوعت مؤلفاتهم فيهما (مصطفاوي، 2021، صفحة 629). يقول حسين نصّار:" هذا النوع من التصنيف بدأ قبل عصر الخليل وسرعان ما وصل إلى نظامه الأمثل عند الأصمعي فلم يستطع من بعده أن يتحرروا منه، إنما اقتصروا على تكميله، وكانت مادة الأصمعي أيضاً خميرة لما بعده من كتب حتى المخصص، والأصمعي هو المعلم الأول فيه، ثم أبو عبيد، ثم قمته ثابت بن أبي ثابت، وان سيده في المادة واكتمال النظام" (نصار، 1988، صفحة 134).

ومن بين تلك الرسائل اللغوية البارزة في التأليف اللغوي المعجمي هو كتاب الشّاء للأصمعي الذي رمى فيه مؤلفه جمع الألفاظ التي تتعلق بهذا النوع من الحيوان الذي يعتبر من الحيوانات التي اهتم العرب وكانت من أساسيات عيشهم وترحالهم. فما الموضوعات التي حواها الكتاب؟ وما ألفاظها؟ وما القيمة العلمية لهذا الكتاب؟

1. موضوعات كتاب الشّاء

كتاب الشّاء لأبي سعيد الأصمعي هو أحد الكتب الرائدة التي عالجت موضوعات معينة ومحددة، ففيه تناول الأصمعي نعوت الغنم وصفاتها في مختلف أطوار حياتها، وبهذا يمكن القول أنّ الغنم قد شاركت بقية الحيوانات فيما لقيته من اهتمام وعناية اللغويين بتصنيف كتب ورسائل في شأنها، لكنها كانت أقلّ حظاً عن كثير من الأنواع الأخرى، ولم تحظ بما حظيت به الفصائل الأخرى من الحيوان بكثرة التأليف فيها كالإبل والخيل وغيرها.

وقد سبق وأن نشر الكتاب – قبل تحقيق صبيح التميمي له – من طرف الدكتور أوغست هفنر A.Haffner، في مجلة SBWA في فيينا عام 1896م معتمداً على نسخة واحدة، ثم أعاد المحقق نشره ثانية بعد الإطلاع على أكثر من نسخة من مخطوطاته (الأصمعي، 1987م، صفحة 05).

وقد جاء الكتاب بشكل حديث عام – على قول المحقق – ودون أن يصنّف أو ينظم إلى أبواب محددة، لذا تفرقت منه بعض النصوص وكان حقها أن تضم إلى أبواب أخرى، وقد حاول

المحقق تقسيم المادة اللغوية إلى أبواب بحسب ورودها دون المساس بمتن النص أو إحداث تغيير فيه، وقد وردت موضوعات الكتاب مختلفة ومتنوعة في أشكالها وعناوينها مؤتلفة ومتحدّة في بيان الألفاظ التي أطلقها العرب على نعوت وأوصاف الشّاء، وهذه المواضيع هي:

1.1 حمل الغنم ونتاجها:

فيه يبين الأصمعي مدة حمل الشاة ووقت ولادتها، ويورد الألفاظ التي تطلق على الشاة وبعض البهائم الأخرى حين طلب التزاوج، ويتدرج بعد ذلك في بيان علامات حمل الشاة ومراحل قبيل ولادتها حتى وضعها المولود، وما توصف به في عدد المواليد التي تنجبهم وعاداتها في ذلك. قال الأصمعي: " الوقت الجيد في الشّاء أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادها، فيكون حملها خمسة أشهر، فتضع في كل سنة مرّة، فإن أعجلت عن هذا الوقت حتى يحمل عليها مرتين في السنة فذلك الإمغال ... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 29).

2.1 أسماء أولادها:

وجاء فيه على ما تسمى به أولاد الشاء ساعة وضعها، وما يسمى به الولد الذكر والأنثى من الماعز ومن الضأن خصوصاً. قال: " فإذا ولدت فولدها سخلة، والجميع سخال، فإن كان ولد الشاة من المعز ذكراً فهو جديٌ، وإن كانت أنثى فهي عَناق... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 35).

3.1 من نعوتها في ولادتها: ويذكر فيه ما تنعت به الشاة بعد ولادتها؛ أي بعد انقضاء بضعة عشر يوماً من وضعها، وما توصف به عند انقطاع الدّم عنها. "يقال للشاة إذا ولدت ثم أتى لها عشرة أيام، أو بضعة عشر يوماً: فهي شاة ربّى، وغنم ربابٌ ..." (الأصمعي، 1987م، صفحة 37).

4.1 أسماء أولادها: وقد اتفق هذا الموضوع في الاسم مع موضوع الباب الثاني ولكنه اختلف معه في المضمون، حيث أورد فيه الألفاظ التي تسمى بها أولاد الشاة كلّها، ثم أسمائها تدريجياً في نموها وكبرها وفي مراحل حياتها المختلفة بدءً من مرحلة الأكل ثم الفطام، والتحرك ونبت قرناه، إلى إدراك البلوغ، وحتى تمامه ثمانية أشهر. " يقال لأولاد الشاة كلها: بهم، فإذا أكل ولدها من الأرض قيل قارم ..." (الأصمعي، 1987م، صفحة 39).

5.1 نعوتها من قِبل أسنانها: وفيه يذكر ما تكنى به الشاة أثناء وقوع أسنانها في مراحل متدرجة بدءً من سقوط ثنية الشاة، فرباعيتها، ثم سديسها، ثم ما خلف السديس، إلى وقوع كلّ أسنانها ونبتهما من جديد. قال الأصمعي: " فإذا وقعت ثنية الشاة، قيل: قد أثنى فهو مثنٍ وثنيّ، فإذا وقعت رباعيته، قيل: قد أربع إرباعاً، وهو رباع، وهي رباعية ... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 43).

6.1 نعوتها من قبل ألبانها: وتحدث فيه الأصمعي عن كثرة ما تجود به الغنم من اللبن، وعن قلّته، والألفاظ المناسبة لذلك، وما تنعت به الشاة إذا أتى عليها أربعة أشهر وأخذ لبنها في النقصان، وعن التي لا يبقى لبنها إلاّ شهرين أو ثلاثة وينقطع، والتي يبقى لبنها ويدوم، وأردف آخر الباب بجملة من العلامات التي تتصف بها الشاة قليلة اللبن. قال: " من علامة غزر الشاة أن تكون عريضة الوركين، طويلة العنق، واسعة الجوف" (الأصمعي، 1987م، صفحة 49).

7.1 ضرع الشاة وعيوبه: وفيه بدأ بوصف ضرع الشاة في حالاته المختلفة حين ارتفاع خِلفاه وكبره، وحينما ينصب خلفاه ويطولا، ثم انتقل إلى ذكر مكونات وأجزاء من الضرع كمخارج اللبن وموضع يد الحالب، وبعد هذا بدأ في سرد عيوب الضرع بذكر العيب أولاً ثم شرحه ووصفه تارة، وتارة بتقديم الشرح والوصف على ذكر العيب، فأعاب عليها حين يصغر إحدى شقي الضرع، وحين يكون أحد شطري الخِلف أصغر من الآخر، وإذا ارتفع الخلف وكثر لحم الضرع، والضيقة الإحليل التي لا يخرج لبنها إلاّ بشدة، والواسعة الإحليل، وأعاب كذلك على الضرع الذي أصابته عين أو برد فيغلظ ويرم وغير ذلك من العيوب. قال الأصمعي: " إذا عظم الضرع وارتفع خِلفاه، قيل ضرع مقنع، وسواعد الضرع: مخارج اللبن، ومن عيوب الضرع الحِضانُ، وهو أن يصغر أحد شقي الضرع فإذا كان كذلك قيل: شاة حَضون ... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 51).

8.1 نعوتها من قِبل هزالها: وصف فيه هُزال الشاة وضعفها في حالات مرضها وهرِمِها، وفي حالات حملها حتى لا تستطيع القيام والمشي إلاّ بمن يحملها. قال الأصمعي من ذلك: " فإذا مرضت الشاة فاشتد هزالها، قيل: شاة هِرْهِرٌ، وإذا هرِمَت الضائنة وهزلت، قيل: هرطةٌ ... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 57).

9.1 نعوتها من قِبل أمراضها وعيوبها: وفيه أورد جملة من العيوب والأمراض التي منها ما تهلك من جرائها فصائل الغنم وتموت، ومنها ما داءه خفيف وبالإمكان معالجته والحدّ من عدواه التي قد تصيب القطيع بأكمله، ومن العيوب التي أوردها " عيب الإرتضاع وهو أن تشرب لبن نفسها، والنّقرة التي هي قرحة تصيب معدتها، والنحطة وهو سعال أخذ الشاة حتى تموت، والسُّوادُ داء يسوّد لحمها، وإذا أصابها الجدريّ فهي مأموهة، والسّلاق: بثر يخرج في السّن حتى تمتنع من الأكل ... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 59).

10.1 نعوتها من قِبل أخلاقها: وقد وصف فيه بعض أخلاقها السيئة والمشينة، مرّة عند حلبها، ومرة في نكاحها مراراً ولا تلقح، و أخرى عند يبس ولد الشاة في بطنها، وخلقها ووهي تمتنع عن أكل البقل أو شيء لا يوافق مذاقها. قال الأصمعي: " إذا ساء خُلق الشاة عند الحلب، قيل: شاة عسوس، وإذا ضربت مراراً ولم تلقح، قيل: مُمارن، وإذا يبس ولدها في بطنها، قيل: ولد حشيش، وشاة سالح: تسلح عن أكل البقل، أو شيء لا يوافقها" (الأصمعي، 1987م، صفحة 63).

11.1 من عيوبها: وقد يكون هذا الباب تكملة لما جاء في أمراضها وعيوبها، إذ أنّه لم يحمل في مضمونه إلاّ عيباً واحداً وهو الحلمة: "وهي دودة تكون بين جلدها الأعلى وجلدها الأسفل، تبقى في الجلد إذا سُلخ " (الأصمعي، 1987م، صفحة 65).

12.1 نعوتها من قِبل أسنانها: وموضوع هذا الباب أيضاً يكمّل الباب الخامس والموسوم باسمه، فوقوع أسنان الشاة كلها يدلّ على هرِمها وكبرها وهو ما جاء على وصفه في هذا الباب، مع ما يترتب على سقوطها من أمور كسيل لعابها، وعدم المقدرة على مسك الماء في فِيها. يقول الأصمعي: " والدردبيس: الهَرِمة من الشاء والإبل، فإذا كبرت وهزلت، قيل: إنما هي عَشَبةٌ وعَشَمةٌ ... " (الأصمعي، 1987م، صفحة 67).

13.1 نعوتها من قِبل قرونها: ويصل في الموضوعات الخاصة بالشاء إلى قرونها فيصفها إذا كانت منصوبة، ليقال لها عندئذٍ: " شاة نصباء، وإذا ذهب قرناها قِبَل ظهرها، قيل: شاة جنْآء، وإذا تفرق ما بين القرنين تفرقاً قبيحاً، قيل: عنز فشقاء" (الأصمعي، 1987م، صفحة 71).

14.1 نعوتها من قِبل علَفها: وقد اقتصر في هذا الموضوع على ما تكنى به الأغنام التي في البيوت؛ أي التي ليست من الرّواعي، فيقال لها: " شاة راجنٌ وداجنٌ، وبعض العرب يقول: راجنةٌ وداجنةٌ" (الأصمعي، 1987م، صفحة 73).

15.1 نعوتها من قِبل أخلاقها: وهو استكمال للباب العاشر، حيث يصف شرار الغنم ولئامها، فيقول: " شَرَطُ الإبل والغنم: شرارها ولئامها؛ أي أردأها وأراذلها" (الأصمعي، 1987م، صفحة 75).

16.1 نعوتها من قِبل جماعاتها: فوصفها حين السير على دفعات أو المكوث في جماعات، فقال: " القَوطُ: القطيع من الشّاء، والرّفُ كذلك، والصُّبَّة: قطعة قدر عشرين ونحوها" (الأصمعي، 1987م، صفحة 77).

17.1 من أسمائها: وهو آخر أبواب الكتاب، أورد فيه الأصمعي اسماً واحداً من أسمائها، فقال: " والعُمروسُ: الحَمَلُ بلغة أهل الشام" (الأصمعي، 1987م، صفحة 79).

2. نظام ومنهج الكتاب

1.2 النظام الخارجي للأبواب:

كتاب الشّاء للأصمعي وكما ذكرنا آنفاً قد رمى فيه صاحبه إلى بيان الألفاظ التي أطلقها العرب على صفات الشاء في حملها ونتاجها، وأمراضها، وطوائفها، وأسماء أولادها...، وقد نظم الأصمعي مادة كتابه اللغوية على سبع عشرة باباً كانت هي موضوعات الكتاب ومدار حديثه عليها، وهذه الموضوعات قد جاء ذكرها في العنصر السابق فلا داعي لإعادة سردها وذكرها هنا، ولكن الملاحظ على نظام وترتيب أغلب هذه المواد والأبواب هو تدرج الأصمعي في إيرادها زمنياً أو في نسق تزامني، إذ أنّ هذه الموضوعات قد جاءت لتبين معاني الألفاظ التي تحملها صفات

الغنم في مراحل حياتها المتتابعة بداية من حملها إلى أرذل عمرها وسقوط أسنانها، وهو ما عبّر عنه بنعوتها من قِبل أسنانها، فالباب الأول بدأه بحمل الشاة ونتاجها وهو أول مرحلة في حياة المولود الجديد للغنم إذ لا بدا أن يبدأ بالحمل في بطن أمه ثم يولد ليبدأ حياته الأولى، ولا بدا لهذا المولود عند ولادته من اسم يكنى به أكان ذكراُ أو أنثى ولذلك جاء الباب الثاني في أسماء أولادها، وبعد أن تقضي الشاة بضع عشرة يوماً من ولادتها تكنى بأوصاف ونعوت تخصّها، وقد جاء الباب الثالث نعوتها في ولادتها بهذه الأوصاف ثمّ يعود المؤلف إلى أولاد الشاة فيسميها ويصفها في أكلها وفِطامها وتحركها، وحتى بلوغها ثمانية أشهر وما يقال لها عند ذلك، وفي كلّ هذا الشاة تكبر وتنمو وتسير في أطوار حياتها المختلفة وعين الأصمعي لا تغفل ذلك فتتبعها في كلّ مرحلة وكل طور بأوصافها ومسمياتها المتباينة، ولحساب عمرها وكبرها وصغرها ينظر في أسنانها وهو ما ألمّ به الباب الموالي بذكر نعوتها من قِبل أسنانها، ويتدرج الأصمعي في ذلك حتى يصل إلى نعتها في آخر عمرها من قِبل أسنانها وهو الباب الثاني عشر والأخير في جملة الأبواب المرتبة ترتيباً زمنياً وبحسب تدرج الشاة في حياتها على شكل وموضوعات وأبواب، أمّا الخمسة الباقية فهي بلا ترتيب يذكر، ويمكن القول أنّها جاءت استدراكاً لما فات ويدلّ على ذلك صغر حجم أبوابها وقلة النصوص والألفاظ فيها فأكبرها حجماً لا يتعدّى الخمسة سطور، وهو ما يدلّ على عدم اهتمام الأصمعي بهذه الأبواب أكثر من اهتمامه بالأبواب الأولى، ولذلك جاءت آخر الكتاب وغير منضوية في الترتيب الزمني للأبواب كالأبواب الأخرى، ولكن هذا لا يعني الإقلال من قيمتها والتغاضي عن دراستها فما حوته من ألفاظ لغوية وعبارات تراثية وإن كانت قليلة فذلك يوجب الاهتمام بها ونفض القتر عنها فهي جزءٌ لا ينفصل عن الكلّ ولها صلة من قريب أو بعيد بموضوع الكتاب وبالأغنام تحديداً ،فللشاء قرون تميزها فتنعت بها، وعلف خاصٌ بها تتغذى منه، وفيها الشرار واللئام وهذه أخلاقه، وتسير في جماعات وقطعان فيشار لها بالاسم على ذلك، وتسمى بعض أفرادها فيكون ذلك من أسمائها.

2.2 النظام الداخلي للأبواب:

إنّ الأسلوب العام لعرض المواد اللغوية داخل الأبواب يتلخص في ذكر صفة الشاة ثم تردف باللفظة التي تنعت بها تلك الصفة، وقد يسترسل بذكر النعوت حسب تدرج الشاة في حالة ما، ومعنى هذا أنّ الذي يحكم ترتيب المواد أو الألفاظ داخل الأبواب هو تلك النعوت التي توصف بها الشاة فحال ترتيبها من حال ترتيب النعوت والصفات، وإذا نظرنا ثم دققنا النظر داخل أبواب الكتاب ألفنا أنّ نهج أبوابه الداخلي قد انقسم إلى قسمين:

1.2.2 نهج لا يحكمه ترتيب معين:

وهو الذي سطا على أكثر الأبواب، فمن بين سبعة عشر باباً لم نلحظ ترتيباً لموادها اللغوية إلاّ في ستة أبواب قد لمسنا فيها شيئاً من الترتيب، أمّا باقي الأبواب فلا يحكم موادها ولا

يربط بينها رابط تتابعي يُلزم أن تكون بعض المواد قبل الأخرى فعندها لا يكون بمقدورك تغيير موضع إحداها على الأخرى وإن فعلت وغيّرت فستلمس أنّ هناك إخلالاً بالنظام وتشويهاً لصورته، فالمواد داخل هذه الأبواب لا تسير في نسق معين يحكمها ويحيل بعضها إلى بعض إلاّ اشتراكها في الحقل الدلالي مع بعضها، وانضوائها تحت باب واحد يجمعها. وكمثال على إحدى هذه الأبواب يجلي قولنا ويبرهن على صحة اعتقادنا، ما جاء في باب نعوتها من قِبل قرونها، حيث قال الأصمعي:

– " إذا كانت الشاة منصوبة القرنين، قيل: شاة نصباء، وتيس أنصب.

– وإذا ذهب قرناها قِبل ظهرها – وهو أحسن القرون نبتة – قيل: شاة جنْآء، وتيس أجْنأ – وإذا تفرق ما بين القرنين تفرقاً قبيحاً، قيل: عنزٌ فشقاء، وتيس أفْشقٌ " (الأصمعي، 1987م، صفحة 71).

فلا يلاحظ على هذه المواد أي ترتيب يُذكر ولا تنظيم يُقصد، فبالإمكان تقديم ما شئت وتأخير ما أردت من المواد دون أن يحصل إخلال أو تغيير في نظام ترتيبها؛ لأنها أصلاً غيرُ خاضعة لترتيب معين ولا تنسيق منظم.

2.2.2 نهج يحكمه ترتيب معين:

وهو أقل أبوابه عدداً (06 أبواب)، قد سارت على غير النهج الأول، حيث ألزمها الأصمعي الترتيب والتنسيق والسير على نمط معين؛ لتفي بأقل قدر أحد الشروط الواجب استيفاءها في المعجم. وقد ارتضى الأصمعي لأبوابه الترتيب الزمني على غيره كون الأسلوب العام لعرض المادة يفرض عليه ذلك ؛ إذ يذكر صفة الشاة على حالة ما في مرحلة من حياتها، ثم يردفها باللفظة التي تنعت بها تلك الصفة، والصفة المذكورة في تلكم المرحلة تحيل حتماً إلى ما تنعت به الشاة في المرحلة المقبلة من عمرها وهكذا دواليك، أما بالنسبة للأبواب التي حكم موادها الترتيب الزمني فأغلبها الأبواب الأولى للكتاب وهي:(باب حمل الغنم ونتاجها، نعوتها في ولادتها، أسماء أولادها، نعوتها من قبل أسنانها، وأخيراً باب نعوتها من قِبل أسنانها). وكمثال يستدل به على قولنا ما جاء في إحدى هذه الأبواب وليكن باب أسماء أولادها، حيث قال الأصمعي: يقال لأولاد الشاة كلّها بهْمٌ، والواحدة: بهْمةٌ، وهذه أول تسمية تطلق على كلّ أولاد الشاء أول عمرهم، ثمّ إذا أكل ولدها من الأرض – وهي مرحلة تلي الأولى–، قيل: قارمٌ، وبعد هذه المرحلة يحين وقت فِطامها لأنه صار يأكل من خشاش الأرض فلا تَلُنَّةَ له بحليب أمه بعد الآن، فإذا أرادوا أن يفطموه من اللبن، قيل: افطموه، فإذا فُعل ذلك به فو الفطيمُ، وبعد أن كان اللبن هو الغذاء الرئيسي له فُطم منه، وأصبح الماء وأوراق الشجر غذاءه الأساسي وبذلك نعت في هذه المرحلة، حيث قال: فإذا انتفجَ جوفها من الماء والشجر، فهي جَفْرَةٌ، والذكر جَفرٌ، ثمّ أتى على اسم من أنواع الشاء في مرحلة صغره، وهو الحُلّانُ: الجديُ الصغير، ثمّ إذا تحرّك هذا

الجدي ونبت قرناهُ فهو عتودٌ، وإذا أدرك السِّفاد فهو عريضٌ، وهذه كلها مراحل متتابعة الواحدة تلي الأخرى حتى بلوغه ثمانية أشهر أو تسعة، فيقال له عند ذلك: قد أجذع، وهو جذعٌ، وهي جذعةٌ (الأصمعي، 1987م، الصفحات 39-40).

لقد بيّن هذا التدرج الزمني في وصف الشاة في مراحل حياتها المتلاحقة، حيث لا يصف مرحلة قبل أخرى، ولا يخلط أوصافها في مراحل مختلفة فلا يذكر مرحلة نبت قرناه قبل فِطامه، ولا أن يجذع قبل إدراكه السِّفاد، بل يتدرج في أطوار حياتها طوراً بعد طور. أما بالنسبة لباب أسماء أولادها فقد كان ترتيبه على حسب الجنس؛ إذ يورد اسم الذكر أولاً ثم اسم الأنثى.

3. خصائص ومميزات المنهج

1- محاولة الأصمعي توثيق دلالة مجموعة من الألفاظ بشواهد مختلفة ومتنوعة، وخاصة من الشعر الجاهلي، وأقوال وأمثال عرب البادية الذين تواجدوا في مواطن الفصاحة. ولا يتوقف الأصمعي عند إيراد الشاهد فقط، بل يشرح ما ورد فيه من كلمات غامضة، وألفاظ تستعصي على الفهم، مثل قوله في باب حمل الغنم ونتاجها وتوثيقاً لدلالة لفظ الإمغال. " - قال القطاميّ:

بيضاءُ محطوطة المتنينِ بَهْكَنَةٌ رَيّا الرّوادفِ لم تُمغِل بأولاد

أي: لم تتابع بأولاد فتنكسر لذلك " (الأصمعي، 1987م، الصفحات 29-30).

" - قال الحطيئة:

عوازبُ لم تسمعْ نُبوحَ مقامةٍ ولم تُحتَلب إلاّ نهاراً ضَجُورُها

يقول الأصمعي شارحاً: لا تحتلب الضجور إلاّ نهاراً حين تطلع عليها الشمس فتسخِنُ ظهرها، فتطيب نفسها " (الأصمعي، 1987م، صفحة 63).

2-ذِكر بعض الألفاظ التي تنعت بها طائفة معينة من الحيوانات وتقابل الألفاظ المطلقة على الغنم سيراً على منهج كتابه الفرق، ومثال ذلك، " يقال: ولدت الشاة والغنم، وولّدت ولا يقال: نتجت، إنما النتاج للإبل والخيل، يقال: نتجت الناقة؛ أي: ولدت " (الأصمعي، 1987م، صفحة 32).

3- إشارته إلى المذكر والمؤنث منها، حيث قال: " فإن كان ولد الشاة من المعز ذكراً فهو جديٌ، وإن كانت أنثى فهي عَنَاقٌ، فإذا كانت ضائنة وكان ولدها ذكراً فهو حَمَلٌ، وإن كانت أنثى فهي رخِلٌ " (الأصمعي، 1987م، صفحة 35).

4-راعى في الأسماء أن يبين المفرد منها والمثنى والجمع، وأبان في الأفعال عن صيغ الماضي والمضارع وحتى المصدر أحياناً، حيث قال في أسماء أولادها: " يقال لأولاد الشاة كلّها بهمٌ، والواحدة بهمةٌ، وجمعها بِهامٌ، فإذا أكل ولدها من الأرض قيل: قارمٌ، وقد قَرَمَ يقرمُ قرَماً، فإذا

أرادوا أن يفطموه من اللبن، قيل: افطموه " (الأصمعي، 1987م، صفحة 39). على صيغة الأمر.

5- ضبطه للألفاظ التي يُخاف وقوع اللّبس فيها، وقد جاء ضبطه على نوعين:

أ- ضبط وشكل اللفظ بالعبارة كقوله: غنمٌ رُباب (مضموم الرّاء).

ب- ضبط اللفظة بما يقابلها في الوزن كقوله في المثال: " قد انقطعت صاءتها مثل (صاعتها) " (الأصمعي، 1987م، صفحة 37).

6- إثراء مادة الكتاب بآراء لغوية قالها الأصمعي أثناء شرحه للمادة منها:

أ- ذِكر اشتقاقات المادة اللغوية كما في استحرم، حيث قال: " قد استحرمت، وهي شاة حرمى بينة الحِرمة، وهي عنز حرْمى، وحَرامى للجميع" (الأصمعي، 1987م، صفحة 30).

ب- الإشارة إلى الحروف الشواذ في الجمع كما في رباب وظؤار ورخال، حيث قال: "رخِلٌ ورِخْلانٌ ورُخالٌ، وهذه الحروف شواذ ليس في الجمع غيرها رُبَّى ورباب، وظئِر وظؤار، وعِرْقٌ وعُراقٌ، وتوْأمٌ وتُؤامٌ، ورخِلٌ ورُخالٌ " (الأصمعي، 1987م، الصفحات 35-36).

7- الإشارة إلى اللهجات العربية في لفظه كما في: " راجن وداجن وهي الأغنام التي تكون في البيوت؛ ليست من الرّواعي، وبعض العرب يقول: راجنة وداجنة " (الأصمعي، 1987م، صفحة 73)." والعُمْرُوسُ: الحَمَلُ بلغة أهل الشام " (الأصمعي، 1987م، صفحة 79).

4. القيمة العلمية للكتاب

تكمن قيمة وأهمية كتاب الشّاء في أنه من الكتب النادرة والمهمة في هذا الميدان؛ إذ أنه الكتاب الوحيد الذي قدّر له الوصول إلينا واستطاع الإفلات من قدر الضياع الذي أتى على بقية الكتب المؤلفة في هذا الشأن، فأين صفات الغنم للأخفش الأوسط، وأين الإبل والشاء لأبي زيد الأنصاري، نسمع عنهم في كتب التراجم والمؤلفين ولا نلفي لهم على أثر، لذلك يكفي كتاب الأصمعي أهمية أنه بين يدي الدارسين اليوم وغداً، يُكشف عن درره الثمينة ولآلئه الغالية، ويدرس ويمحص ليبين عن المستوى اللغوي والتفكير الدلالي عند العرب القدامى، وخاصة أنّ هذا الكتاب قد استقلّ بمعالجة طائفة من الألفاظ التي تنعت بها الغنم في أحوالها المتباينة ومراحل عمرها المختلفة، وبالتالي فإنّه قد اشتمل على ثروة لفظية في موضوع واحد، ممّا ينبئ عن أهمية في بيان المعاني بمعنى معيّن؛ فالألفاظ التي وردت في كتاب الشاء قد ارتبطت دلالتها، ودارت في رحى الغنم، ممّا جعل بيان هذه الألفاظ ودلالتها تطحن برحى الموضوع الواحد، ليكشف عن معانيها المتسترة ورائها ويزيل عنها الغموض المتلبس بردائها، فلا انفصام ولا انفصال بين العنوان الرئيسي للكتاب (الشاء)، وبين مواده اللغوية التي هي نابعة من صميم العقلية العربية المرتبطة بالحيوان والنبات، وبخاصة الجانب التعليمي التثقيفي؛ إذْ إنّ الغاية من تأليف هذا الكتاب وعلى غرار بعض الرسائل اللغوية، هو التثقيف اللغوي للكتّاب والمشتغلين

بصناعة الكتابة فهي كما قال الهمذاني: " من أعلى الصناعات وأكرمها وأسمقها بأصحابها إلى معالي الأمور وشرائف الرتب ... " (الهمذاني، 1885م، صفحة 02)، فهو يهدف إذاً إلى إمداد الكاتب أو الأديب أو الباحث بلفظ ما استطاع المعنى المختمر في ذهنه أن يلفظه ،لذلك ما كان في اليد حيلة إلا اللجوء لهذه الكتب والرسائل التي وافقت معناه بالموضوع الذي أُلفت فيه.

5. تراث الشاء في العربية

لم يزخر التراث العربي بمؤلفات في الغنم والشاء كما زخر بكتب الفرق وغيرها من البهائم التي أُلّف فيها، فقد كان حظّ الشاء منها ضئيل، والتصنيف حيالها من النزر القليل إذْ لم تحصي كتب التراجم والطبقات إلاّ خمس كتب مستقلة في هذا الشأن، وهي بالإضافة إلى كتاب الشاء للأصمعي، كتاب المعزى والإبل والشاء لأبي زيد سعيد بن أوس ثابت الأنصاري الخزرجي المتوفى سنة 215هـ، وكتاب الإبل والغنم لأبي عكرمة عامر بن عمران الضبّي المتوفى سنة 250هـ، وكتاب الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط والمتوفى سنة 210هـ، وأخيراً كتاب نعت الغنم لأبي زيد الأنصاري (الشرقاوي، 1993، صفحة 106). ومع هذا العدد المحدود من الكتب المؤلفة في الشاء، لم يصل إلينا منها إلاّ كتاب واحد هو للأصمعي، أمّا الباقي فهو مبثوث ومشتت إمّا في المعاجم الموضوعية أو اللغوية التي اعتمدت اعتماداً ملحوظاً على هذه الرسائل في تأليف معاجمها، حيث نجد كلاً من :

1.5 أبوعبيد القاسم بن سلاّم (ت244هـ) في الغريب المصنف: يخصصّ كتاباً بعنوان الغنم روى فيه عن الأصمعي حوالي أربعين كلمة (أبو عبيد، 1989م، صفحة 73)، وقسمه إلى ثلاث عشرة باباً وهي:

1- باب حمل الغنم ونتاجها
2- رضاع الغنم وألبانها
3- أسنانها وأولادها
4- نعوت الضأن في شياتها
5- شيات المعز ونعوتها
6- نعوت الغنم في شحومها وغيره
7- نعوت ذكر الغنم وسيرها
8- جماعات الغنم وأسماؤها
9- أمراض الغنم
10- خصاء الغنم وغيرها
11- علامات الغنم التي تعرف بها وجَسّها
12- حلبها
13- مواضعها حيث تكون

والملاحظ أنّه قد اتفق مع الأصمعي في بعض الأبواب واختلف في أخرى، وسار على نهجه الزمني في البابين الأول والثالث، كما سار عليه في بعض أبواب كتاب الشاء، أمّا طريقة عرضه للمواد فتداولت بالعكس على مضمون واحد، فتارة يورد اللفظ أولاً ثمّ يفسّره ويستشهد عليه، وتارة يقّدمُ التفسير وعرض الحالة أولاً ثمّ يورد اللفظ الذي يطلق عليها، ويحرص أن يبين

منه صيغ الأفعال أغلبها كالماضي والمضارع والأمر واشتقاقاتها كالمصدر، وفي الأسماء جمع مفردها وإفراد جمعها، وتأنيث مذكرها وتذكير مؤنثها، كما أشار إلى لغات القبائل فيها والمترادفات منها، والألفاظ التي يُفرقُ فيها بين البهائم الأخرى وبين الغنم. والتزم المؤلف أن يعزو كلّ قول إلى صاحبه لأنّ هذا الموضوع قد طرقه سابقوه وقالوا فيه الشيء الكثير، ومن هؤلاء الأصمعي وأبو زيد الأنصاري والفرّاء وغيرهم، فاعتماده عليهم كان ملحوظاً (نصّار، 1985م، صفحة 42).

وحوصلة القول أنّ كتاب الغريب المصنف قد حفظ لنا ما تشتت من تراث الشّاء، وجمع لنا أكبر قدر ممكن من الألفاظ التي تنعت بها الغنم زمن العربية الفصحى، فعدّ كتاب الغنم المدرج تحت كتابه من تراث الشّاء في العربية، وأحد المصادر التي يُعتمد عليها في هذا الشأن.

2.5 المخصّص لابن سيده (ت458 هـ):

ومن اسمه الذي يدلّ على التخصيص فقد خصصّ ابن سيده كتاباً للغنم، قسّمه إلى أربع وعشرين باباً، عشرة منها جاءت في السفر السابع والبقية في السفر الثامن للمخصّص نذكر منها الأبواب التي أغفلتها الكتب السابقة وهي: باب أسماء عامة الغنم وفيه جاء بالتفصيل على أنواع الشّاء (الغنم، الضائنة، الماعز) وعرّف كلاً منها بالاسم وباب أصوات الغنم، نعوتها من قبل صوفها وشعرها وإعبارها وجزِّها ، رعي الغنم ونثرها وسيرها، افتراس الغنم، ضرط وبعر ومخاط الغنم، تناطحها، ما يعزل منها للأكل، ذبح الغنم واقتسامها (ابن سيدة، 2005م، صفحة 509). وما يميز كتاب ابن سيده في الغنم على غيره فيها هو سيره على نهج واحد، بإيراد اللفظ أولاً ثمّ شرحه وتفسيره ثم الاستشهاد عليه بمختلف الشواهد إن كان لذلك شهيدا، فهو يعتبر أدق كتب الغنم تنظيماً وترتيباً من هذا الجانب. كما أوعز أغلب ألفاظه إلى قائليها ولم يأْتلِ فيها؛ إذ نجده يورد اسم الشخص الذي روى عنه اللفظ قبل اللفظ، في إشارة إلى درجة عالية من التوثيق وإعطاء كلّ ذي حقٍ حقّه، كما تميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب التي اختصت بالحديث عن الشّاء بضخامة مادته اللغوية سواء من حيث عدد الأبواب فهو أكثرها عدداً، أو بعدد المواد اللغوية التي عالجها داخل هذه الأبواب؛ حيث إننا نجد عدداً كبيراً من الألفاظ قد وردت في المخصّص ولم ترد في الكتب الأخرى، فهو بحقّ يعدّ أضخم كتابٍ في تراث الشّاء من حيث المادة.

الخاتمة

– كتاب الشّاء للأصمعي من الكتب النادرة والمهمة في هذا الميدان فهو قد حوى ثروة لفظية في غاية الأهمية لنعوت الغنم وما يتعلق بها، لذا فهو يعدّ مرجعا لغيره من المعاجم.

– منهج الأصمعي في كتاب الشاء قد انقسم إلى قسمين نهج لا يحكمه ترتيب معين وهو الذي سطا على أكثر الأبواب، فمن بين سبعة عشر باباً لم نلحظ ترتيباً لموادها اللغوية إلاّ في ستة

أبواب قد لمسنا فيها شيئاً من الترتيب، أمّا باقي الأبواب فلا يحكم موادها ولا يربط بينها رابط تتابعي يُلزم أن تكون بعض المواد قبل الأخرى، فالمواد داخل هذه الأبواب لا تسير في نسق معين يحكمها ويحيل بعضها إلى بعض إلاّ اشتراكها في الحقل الدلالي مع بعضها، وانضوائها تحت باب واحد يجمعها. ونهج يحكمه ترتيب معين وهو أقل أبوابه عدداً، قد سارت على غير النهج الأول، حيث ألزمها الأصمعي الترتيب والتنسيق والسير على نمط معين؛ لتفي بأقل قدر أحد الشروط الواجب استيفاءها في المعجم.

– يتمتع الكتاب بخصائص ومميزات في منهج تأليفه، حيث أنه يشير لكثير من القضايا اللغوية في النحو والصرف والأصوات والدلالة، وغيرها مما يستفاد منها.

المراجع:

1– أحمد إقبال الشرقاوي. (1993). *معجم المعاجم*. تونس، تونس: دار الغرب الإسلامي.

2- أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيدة. (2005م). *المخصص* (المجلد 3). بيروت، لبنان: دار الكتب العلية.

3–حسين نصار. (1988). *المعجم العربي نشأته وتطوره* (المجلد 1). القاهرة، مصر: دار مصر للطباعة.

4- حسين نصّار. (1985م). *معاجم على الموضوعات*. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

5- عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني. (1885م). *الألفاظ الكتابية*. بيروت، لبنان: مطبعة الأباء اليسوعيين.

6- القاسم بن سلام أبو عبيد. (1989م). *الغريب المصنف* (المجلد 1). القاهرة، مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

7- عبد الملك الأصمعي. (1987م). *كتاب الشاء*. بيروت، لبنان: دار أسامة.

8–يمينة مصطفاوي. (2021). الرسائل اللغوية في التراث العربي تنوع وشمول. *مجلة الكلم*، *06* (02)، 629.